المغناطيس والجنس الآخر

قصة بقلم عبد الفتاح حسن

فتاتي الرائعة تتخطى الخامسة والعشرين بسرعة . ولكنها تنكر ذلك وتحاول دائما الظهور بمظهر الفتية ، المراهقة .. فهي أملدانية القد مثيرة . واقول فتاتي تشاوفا ليس الا فما بيني وبينها لا يعدو الكلام والنظر والابتسام .

مرة ، تقدمت مني اختها الصغرى ، وبيدها كتاب العلوم ، وطلبت الي ان اشرح لها حقل المغناطيس واتجاه برادة الحديد الممغنطة .

وانتهيت . ورفعت نظري اليها فاذا هي تتفرسني بتأمل وتحد . ثم قالت بخبث فضحت تستره عيناها الجريئتان .

ـ « ما هو المغناطيس حقا يا استاذ ؟ »

وقبل ان اجيب عرفت انها ستتزهني في خميلة نقاش عاطفي رائع حتى تسكرني ثم ، كعادتها ، ستطوح بي من شاهق .. وتنفض يديها . ومع اني كنت اخرج كالمقضي علي عند كل مساجلة الا انني اعترف بانه كان يلذ لي الحديث معها والتطلع اليها . لذلك لم اشأ ان تمر شرارتها دون اشتعال ، فقلت وكأني القي درسا في العلوم :

ـ « المغناطيس .. قوة جاذبة » وسكت ... وابتسمت واسندت رأسها بقبضة يدها

ـ « واين توجد هذه القوة ؟ »

فأجبت بلا مبالاة ـ مصطنعة طبعا ـ

ـ « في المعادن .. في الكهرباء .. (وفتحت عينيها) وفي مركز الارض ايضا .. ولهذا نحن مشدودون الى الارض . »

ـ « ولكني لا احس هذه القوة الجاذبة تشدني الى الارض ... وبالعكس اراني طائرة دائما في اجواء بعيدة ، وعوالم ليس لها حدود . »

واطلقت ذراعيها كجناحين ثم عقدتهما تحت نهديها فاندلقا في عيني وضحكت ـ او حاولت ان اضحك ـ وانا امرغ نظراتي على وجهها وصدرها .

وواصلت كلامها :

ـ « لماذا يا استاذ ؟ هل تستطيع ان تفسر لي هذا »؟

ـ اجل . لانك في الثامنة عشرة »

واشتعلت وجنتاها

ـ « لا تقل هذا . (وبرق في عينيها وميض نارها) لقد ذهبت بعيدا »

فاستدركت :

ـ « ولكنني على الطريق اياه »

ـ كلا .. ان حديثنا عن المغناطيس ليس غير » .

وامالت نظرها جانبا وهي تغالب ابتسامة ساحرة تشبثت بشفتيها المتلئتين . واجبت متسائلا ..

ـ حقا ؟ انني آسف »

وكأني بها اصيبت في صميمها فخاب املها في وصل الحديث مرة اخرى . واسندت رأسها على الكنبة .. ورقصت رجلها قليلا فاذا الرغبة ـ رغبتي انا ـ تنتفض في ساقها ، « يا الهي ! الهذا الحد اشتهيها ؟ لماذا لا يصعد الحب مرة الى رأسي ؟ ولكن ما بالها هي ايضا؟ هل يمكن ان يكون مصدر هذا الفيض من التأثر خجلا مصطنعا ؟ انا اعرف انها تلون عواطفها بالف لون ، وتوجهها بسرعة الوجهة التي تريده دون اظهار اي أثر للتكلف .. ولكم صدقتها ، وتوهمت ان لي في قلبها مكانا ، فكنت لعبتها . ولكنني هذه المرة اشك في تلونها وتكلفها .. ان في قسمات وجهها اشارات جديدة علي .. لا افهمها وعيناها ما بالهما ؟ لماذا تغمض عينيها ؟ » وهززت راسي .. « لا .. لا يا عبد ! لا تأمن لها وكن حذرا .. انت الى الان قابض على دفة الحديث فلا تتخل عنها واحذر من لجة العاطفة . »

ودون ان تلتفت الي قالت وقد تهدج صوتها :

ـ « لماذا تنظر الي هكذا ؟ (وهزت رأسها بانفعال) سألتك عن المغناطيس فحولت السؤال وحدثتني عن نفسي ! »

ـ « الحديث نفسه اتجه اليك . (واردت ان اتمادى معها قليلا) كأن فيك انت مغناطيسا »

وتهلل وجهها بشرا وسألت بفضول مجرد :

« ـ وهل للمغناطيس اتجاه »؟

ـ لا اخالك تجهلين هذا . ان له اتجاها معينا ، فهو يخرج من قطب ليدخل في قطب اخر .. ويجب ان يكون هذا القطب الاخر مختلفا في طبيعته عن الاول . فالمغناطيس لا يكون الا بين ضدين ، كما هي الحال بيننا نحن البشر ... آ .. بين الذكر والانثى »

وخيل اليها انها امسكتني من لساني ، فارادت ان توقع بي

ـ « كانك تريد ان تقول ان بيننا الان قوة جاذبة ، مغناطيسا»؟

ـ « بل انك انت التي تقولين هذا »

قلتها متحديا فاذا التحدي سافر ... واخذت بشهوة النصر ... « هذه المرة سأطوح ـ انا ـ بها من شاهق » ولكن طعنة مباغتة هاضت جناحي وشلت تفكيري . قالت :

ـ « ماذا ؟! الا تشعر بهذه القوة ؟ انت لست بليد الاحساس ! اولست من الجنس الاخر ؟ »

واحسست انها اوصلتني الى حافة الهاوية التي تعودت ان تدفعني اليها . كانت نظرتها المثبتة على وجهي اقوى من ان تقاوم . وانزلت نظري الى الارض ، بيني وبينها .. ثم اغمضت عيني مستسلما ، انتظر الدفعة واتصور السقطة .. وتخيلتها دفعتني فهويت .. ونفضت يديها على ردفيها هكذا دائما .. كلما دخلنا في نقاش قادتني في طريق سهل فاندفعت دون روية .. حتى اذا ما تهيأ لي اني ادفعها فأثأر لكرامتي ولو مرة ، اكتشفت انها اوصلتني بلساني الى حتفي . واخيرا .. دفعتني .

ـ « اجب ، الست من الجنس الاخر ؟ »

وتشبثت بقشة

ـ بلى . (وخيل الي وانا اقبض على زمام رد مفحم انني ادفعها هي .. وتمتمت في نفسي « هذه المرة دورك يا فتاتي ») ولكني لا اشعر بقوة فيك تجذبني اليك ». وبحرت في مبهوتة ثم سألتني ساخرة وكأنها تلقي سلاحها .

ـ « ولماذا يا ترى ؟ »

ـ « لانني ... (وضحكت ـ او خيل الي اني ضحكت ـ وهمهمت .. وترددت ..) لانني لا اسمح لنفسي ان اتخيلك من الجنس الاخر .

✶

ويلي ما احمقني !

ما كنت اتصور ان كلمتي تلك ستؤدي الى النهاية بيننا . كنت اتشوق الى الحديث معها .. كان يلذ لي النقر المتبادل على الوتر الحساس .. بل كنت ارضى دائما ان تنتصر علي فأتذوق جمالها منتصرة شامخة ... ولكني لم اقدر ان ما قلت فيه من الاساءة بقدر ما ظهر عليها.

كانت كلماتها المخنوقة تدفعني هذه المرة في هوة عميقة اين منها تلك الحفر التي كان يلذ لي ان اكبو فيها امامها فأرضيها واشعل قلبي..

ـ « كان الحديث اليك نوعا من الحب يستهويني .. وكنت اعتقد انك باذعانك انما تحببني بك .. فانا اعرفك فارس كلام .. واعرف مصيدة مكائدك .. اليوم هدرت كرامتي امامك .. ارجو الا تسيء الي فتتبجح بهذه القصة امام الناس . ارجوك انس الذي دار بيننا ، ان استطعت ولم يوبخك ضميرك .. مع السلامه ».

وقامت مسرعة الى غرفتها .

وقمت ، متثاقلا احمل على يافوخي ضربة ثقيلة ، هي خيبتي في التقرب الى الجنس الاخر .

بيروت

عبد الفتاح الحسن